بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين، وعليه أتوكل ومنه أستمد العون والتوفيق .

المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية

يتكون هذا الكتاب من مقدمة وفصلين .

الفصل الأول : المنح الإلهية وأثرها في إقامة الحجة على البشرية

المبحث الأول : نظرات في نشأة الإنسان

- النظريات في نشأة الإنسان
- إبطال القول بنظرية التطور
- النظرة الإسلامية لنشأة الإنسان

المبحث الثاني : بعض المنح الإلهية لدلالة البشرية على الله

- منحة الفطرة
- منحة العقل
- منحة إرسال الرسل – عليهم السلام –
- منحة إنزال الكتب
- منحة تأييد الرسل بالمعجزات

المبحث الثالث : في أنواع من إعجاز القرآن الكريم

- الإعجاز المادي
- الإعجاز البياني
- إعجاز الهداية
- الإعجاز التشريعي
- الإعجاز العلمي

الفصل الثاني : مشاهد من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والسراج المنير الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

أحمدك اللهم حمد الشاكرين هديتنا الصراط المستقيم ؛ صراط الذين أنعمت عليهم من الأولين والآخرين ، ووهبتنا منحاً هي من آلائك علينا ونعمائك يا أكرم الأكرمين . وبعد،

فإن أصل هذا الكتاب (المنح الإلهية في هداية البشرية) محاضرة قدمتها في الموسم الثقافي لعام ١٤٢٥هـ بدعوة كريمة من سعادة قائد مدينة تدريب الأمن العام بمنطقة مكة المكرمة العقيد مرزوق بن ماطر الخماش الذي وجه بالإعداد والتنسيق لهذه المحاضرة وتنظيمهاعلى أكمل وجه لتحصل منها الفائدة المرجوة فجزاه الله خيراً، ولقد كان لرئيس قسم العلاقات العامة والتوجيه سعادة الرائد خالد بن حميدان الحميدان أكبر الأثر في التنسيق والتنظيم والترتيب، لذا فقد لزم أن أوجه غاية الشكر والتقدير بعد شكر الله تعالى لصاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبد العزيز آل سعود وزير الداخلية يحفظه الله وسمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير/ أحمد بن عبد العزيز يحفظه الله وسمو مساعده للشئون الأمنية صاحب السمو الملكي الأمير/محمد بن نايف بن عبد العزيز يحفظه الله ، على توجيهاتهم المباركة بتنظيم المواسم الثقافية للقطاعات العسكرية ليستفيد منها أبناؤنا وإخواننا منسوبوا هذه القطاعات الغالية على قلوبنا فيما يعود عليهم بالنفع في أمور دينهم ودنياهم خدمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم لهذا الوطن العزيز وقادته الكرام الميامين يحفظهم الله تعالى .

كما أتقدم بالشكر أيضا لسعادة قائد مدينة التدريب وكافة مساعديه والقائمين على الإعداد والتنسيق للبرامج الثقافية ، سائلاً الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم ويوفقهم في الدين والدنيا.

والحمد لله رب العالمين ، ، ،

د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح
الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي
برابطة العالم الإسلامي

مقدمة

المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثرهم، واتبع هداهم إلى يوم الدين . وبعد،

فإن كتاب (المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية) يهدف إلى بيان قضية من القضايا الكبرى في حياة البشرية، ألا وهي : قضية إقامة الحجة والبيان، لدلالة الإنسان على الطريق الموصل إلى معرفة الغاية الحقيقية التي خُلِقَ من أجلها . وأن جميع من في الكون خلق لله، يعيش تحت ظلال آلائه ونعمه .

وبما أن الإنسان أهم مخلوقات الله تعالى فقد اختصه دون غيره من المخلوقات بجملة من الخصائص وأنعم عليه بنعم كثيرة، منها :

أ ـ نعمة الخلق :

حيث خلق الله بيده سبحانه أبا البشرية آدم عليه السلام، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له إكراماً وتقديراً، وفضله على كثير من المخلوقات . قال تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين : ٤)

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (ص : ٧١-٧٤)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

(الإسراء : ٧٠)

ب ـ نعمة الرزق والتسخير :

فقد جعل الله عز وجل الإنسان في هذا الكون في مركز السيادة إذ سخر كل ما في هذا العالم لنفعه ولإصلاح أمره، وكأن كل شيء قد نسج من أجله قال تعالى :

﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا ... الآية ﴾

(إبراهيم : ٣٢ـ٣٤)

وقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان : ٢٠)

ج ـ نعمة الهداية :

لقد أوضح الله للإنسان طريق الهداية والرشاد وأقام عليه الحجة والبرهان بما غرس فيه من فطرة سليمة، وبما أرسل إليه من رسل، وبما أنزل إليه من الشرائع التي ضمنها ما يصلحه في دينه ودنياه، وأعذر من لم تقم عليه الحجة فقال تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء : ١٥)

أو لم تكن لديه الأهلية بفقد عقله أو تعطل الوسائل الموصلة إليه وهي السمع والبصر والكلام .

كما بين له بواسطة الوحي إجابة الأسئلة المحيرة التي أذهلت الناس في كل زمن، وهي :

من أنا ؟ ولماذا جئت ؟ وإلى أين أسير؟

تلكم الأسئلة التي لا يستطيع أي فيلسوف أو مفكر مهما بلغ أن يجيب عليها في معزل عن الوحي؛

لكن الإله الخالق الذي يعرف أعماق النفس البشرية وخباياها كما قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

(الشمس : ٧،٨)

أعطانا الإجابة الصحيحة الشافية عليها . قال تعالى : ﴿ رُسُلاً

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (النساء : ١٦٥)

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (طه : ١٣٤)

د ـ نعمة العقل :

وهي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وميزه بها عن سائر المخلوقات في هذا الكون، فبواسطته يتمكن المرء من التأمل والتدبر في نفسه وفي مخلوقات الله كافة، والتعرف على ما في الكون من آيات ناطقة وبراهين ساطعة دالة على وحدانية الله وعظيم قدرته . وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر الآيات التي تدعو الإنسان إلى إعمال العقل في الآيات الكونية التي تحيط به . قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤)

وقال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٠، ٢١)

وقد مدح الله عز وجل المؤمنين الذين أعملوا عقولهم في التدبر في ملكوت

الله عز وجل . قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠، ١٩١)

هـ ـ خاصية العبادة :

فقد بين الله عز وجل أن الغاية من خلق الإنسان في هذه الحياة هي : تحقيق العبودية لله عز وجل، والتي على ضوءها تتم المحاسبة، والثواب والعقاب يوم القيامة . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦)

وابتلاؤه بهذه العبودية ليعلم الله من يقدم مراد النفس والناس ومن يخرج من أسر الهوى والهوان إلى العيش تحت ظلال القرآن وهدي الرحيم الرحمن . قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾

(الإنسان : ٢، ٣)

ولأن الله يعلم أن الإنسان لا بد له من أن يتعلق بشيء يلوذ به ويلجأ عند الشدة إليه فكان لا بد من أن يكون من يستحق هذا الخضوع هو الخالق الرازق المدبر لملكوت السموات والأرض، فإن لم يفعل الإنسان ذلك ولم يرق بهذه العبودية لربه عز وجل، وهي التي تحرره من الذلة والعبودية

لغير الله فإنه يقع في الذلة والصغار لغير الله حتماً،

قال عليه الصلاة والسلام : (أصدق الأسماء حارث وهمام) .

و- خاصية الخلافة في الأرض :

وهي الخاصية المتممة لخاصية العبادة . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠)

ولذا طمحت الملائكة إليها، إلا أن الاختيار وقع على الإنسان ليقوم بهذه المهمة .

أرجو من الله تعالى التوفيق والسداد في بيان هذه المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية وبخاصة تلك التي تتخبط في وحل الهوى والشبهات والشهوات لعلنا نسهم - نحن المسلمين - في إخراجها من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، لذلك أردت أن أكتب عن قضية إقامة الحجة وبيان المحجة، مفصلاً مسألة الإعجاز باعتبارها بياناً وبرهاناً وحجة مقامة على الناس، في زمن صار العلم فيه هو الشاهد الثقة، وهو الذي يمثل في حقائقه سقف المعرفة الذي لا ينكره إلا جاهل .

ولكي يجلي الله لنا نور الهداية وطرائق إقامة الحجة والبيان، وليعلم الإنسان لماذا خلق ؟ وما هو المطلوب منه ؟ وكيف يؤديه ؟ وكيف يصنع حياته في ظل منهج سوي، ومنهل روي، ومسار هو أجلى من الشمس في رابعة النهار ينير هذا الطريق حجة بالغة تنتظم حياة المسلم عقيدة، وعبادة، وآداباً، وأخلاقاً، ونظماً عامة، في شتى مجالات الحياة، ومتطلبات البناء الحضاري لأمة التوحيد .

قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات : ٥٦ -٥٨)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ (الأنعام : ١٦٢، ١٦٣)

إذاً هي عبادة تنتظم الحياة كلها ورحم الله علماءنا الذين عرفوا الحكم الشرعي بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الوجوب أو الندب أو الإباحة أو الكراهة أو التحريم، وذلك يعني أنه لا يصدر أي فعل أو قول أو تصرف أو تصور من قبل العبد إلا ولله فيه حكم مقتضاه التسليم لهذا الحكم تحقيقاً لمقتضى الاستسلام لله وحده .

واني لأرجو من الله تعالى التوفيق لبيانها وتوضيحها في المباحث اليسيرة الآتية .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ،،،

كتبه

د . عبد الله بن عبد العزيز المصلح

الفصل الأول

المنح الإلهية وأثرها في إقامة الحجة على البشرية

للإسلام نظرة خاصة إلى نشأة الإنسان ،،،

غير مسبوقة ولا هي منبثقة من دراسات تاريخية بشرية، ولكنها نظرة مستقلة رائدة في تكاملها، وتناسقها، وشمولها لكل جوانب النفس البشرية، وكل جوانب الحياة، وهي النظرة الوحيدة التي اتسمت بالشمول والعمق والاتزان، حيث نظرت إلى الإنسان على أنه كائن بشري له مواصفات خاصة به يتميز بها عن باقي المخلوقات . فهو من خلق الله، أباه آدم خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له، وبقية هذه الخاصية في بني آدم فطرة نقية هي بداية الطريق الذي تتلقفه الرسالات التي يحملها ابناء الله ومعهم الحجة البالغة والحجة الواصلة إلى الله.

المبحث الأول

نظرات في نشأة الإنسان

تمهيد :

يقسم علماء (الأنثروبولوجيا) المراحل القديمة للحياة الإنسانية إلى مرحلتين :

الأولى : مرحلة ما قبل كتابة التاريخ

قسمت فيها مراحل الحياة البشرية إلى أقسام عدة، هي :

١ ـ مرحلة العصر الحجري .

٢ ـ مرحلة العصر الطوطمي .

٣ ـ مرحلة العصور البدائية .

إضافة إلى مراحل أخرى، كلها من قبيل الفرضيات الظنية التي لا يوجد دليل قاطع من الناحية العلمية عليها بل كل ما قيل فيها هو من قبيل الظن والافتراض، وهي ظنون أثرت فيها الوثنيات القديمة وبعض الديانات المحرفة . ولا يوجد لدى البشر أية معلومات يقينية عن تلك المرحلة لعدم وجود الوسائل والوثائق والبراهين عن تلك المرحلة لكونها مرحلة ما قبل كتابة التاريخ، وكل ما يقال عنها أوهام وظنون .

وقد أشار كل من : (ول ديورانت) في كتابه : (قصة الحضارة) و (جان جاك روسو) في كتابه (نظرية العقد الاجتماعي) إلى أنه لا توجد معلومات ثابتة عن الإنسان في فترة ما قبل كتابة تاريخ الإنسان، وإنما هي افتراضات على القارئ تصديقها، بمعنى أنها عبارة عن ظنون وأوهام وخيالات ليس للحقيقة فيها مجال .

والثانية : مرحلة ما بعد كتابة التاريخ

وتبدأ من نحو ستة آلاف وخمسمائة سنة .

وما قيل عن المرحلة السابقة يكاد ينطبق على المرحلة الثانية أيضاً، وإن وجد شيء فقد اعتراه التغيير والتبديل والتحريف .

أما في العصور المتأخرة فقد ظهرت نظريات عديدة تناولت الحياة الإنسانية، منها ما هو قائم على أساس نظرة دينية قديمة، ومنها ما هو قائم على أساس النظرة الحيوانية للإنسان التي أطلقها (دارون) في نظريته حول أصل الأنواع .

وقبل استعراض النظرة الإسلامية للحياة الإنسانية، نرى أنه من المستحسن استعراض بعض تلك النظريات التي تكلمت عن وجود هذا الإنسان، وعلاقته بالكون والحياة، لتتضح لدينا قوة الحجج والبراهين التي نستند إليها في نظرتنا نحن المسلمين نحو هذا الإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله، وحقيقة خلقه، والمنح العظيمة التي وهبها الله لهذا الإنسان انطلاقًا من قوله تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤)

١ ـ النظرة الأولى : (النظرة الدينية القديمة)

وهي النظرة المتمثلة في الديانات السابقة التي غيرت وبدلت ولم يبق منها على وجه اليقين إلا قليل في الثنايا، ولا تزال في تغير وتبدل حتى الساعة . فلو نظرنا مثلاً في طبعة الإنجيل سنة ١٩٩٠م ونظرنا في طبعة الإنجيل في سنة ١٩٩٦م فلن نجد توافقاً بينهما،

فكيف بما كان قبلها ؟ ولهذا شواهد كثيرة ليس هذا مقام عرضها والحديث عنها .

وخلاصة رأي أصحاب هذه النظرة أن إيجاد الإنسان كان جريمة، وولد والخطيئة معه منذ أن عصى آدم ربه، وحتى يتم التكفير عن هذه الخطيئة، ادَّعوا بأن الله جاء بولده الوحيد الذي يحبه وهو عيسى، وقال له : سوف أذبحك من أجل أن أطفئ غضبي، وأرضى عن الناس .

ففي إصحاح يوحنا : هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣/١٦) . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا كلام ساقط بلا شك، إذ أن مقتضى العدل أن لا يذبح من لا جريمة عليه ولكنها نتاج العقول البشرية القاصرة، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢)

٢ ـ النظرة الثانية : (النظرة المادية)

التي أطلقها (دارون) في نظريته حول (أصل الأنواع)، والتي قرر فيها حيوانية الإنسان .

وعلى أساس نظرية دارون هذه بنى كل من : (فرويد وكارل ماركس وإميل دور كايم) نظرياتهم حول الإنسان . وإن كان هناك اختلاف بين الثلاثة في فلسفة نظرياتهم، إلا أنهم اتفقوا جميعاً على رأي واحد، هو : (حيوانية الإنسان وماديته) التي قدمت الإنسان تقديماً مشوهاً أخرجته عن كينونته الإنسانية .

وقد أثبتت الدراسات العلمية خطأ هذه النظرية، مما جعل أكثر العلماء يعرضون عنها، ونشرت كتب ومقالات عديدة تبين زيفها .

٣ ـ النظرة الثالثة : (النظرة العلمانية)

التي نادى الدعاة لها بفصل الدين عن الحياة، وادَّعوا أنه بواسطة العلم يمكن حل قضية الإنسان في كافة جوانب الحياة الاقتصادية والنفسية والاجتماعية، ويسعون لإقامة العدل في الدنيا .

لكن بعد تجربة دامت أكثر من ثمانين عاماً خرجوا بمحصلة مزرية، حيث أثبت الواقع الإنساني فشل هذه النظرية من كافة النواحي، وقد أشار إلى هذا كبار علماء الغرب والشرق وفلاسفتهم **حيث قالوا :**

نحن فشلنا من الناحية النفسية : إذ أخذت الأمراض النفسية القاتلة تستبد بنا أفراداً وجماعات .

ومن الناحية الاجتماعية : ظهر الإفلاس الكامل في كافة علاقتنا الإنسانية، وبدأت تظهر العلاقات الشاذة وتُشَرَّع للناس وليس ذلك بحاجة إلى التدليل لاتضاحه وظهوره .

ومنهم فريق ثان : لم يقر الدين أصلاً، قاصداً بذلك التحلل من قيود الديانات المزيفة التي وقفت في وجه العلم وعارضت العقل، وبخاصة بعد

قيام ما يعرف بالثورة الصناعية، التي امتدت من منتصف القرن التاسع عشر واستمرت حتى بداية القرن العشرين .

ودعاة العلمانية الغربية، أرادوا لها اليوم أن تصبح ديناً عاماً يُفرض على الآخرين باسم الحرية تارة، وباسم الديمقراطية تارة أخرى، فقد ثبت للعالم فشلها لما نتج عنها من ضياع اجتماعي ونفسي وظلم طال أكثر بقاع العالم .

حيث ورد في اعتراف علمي موثق صدر عن الأكاديميين الأمريكيين في الوثيقة التي كتبوها بعد الحادي عشر من سبتمبر * .

* ومما جاء فيها : (يعتقد كثيرون من بينهم أمريكيون وعدد من الموقعين على هذه الرسالة أن بعض القيم الرائجة أمريكياً غير جذابة لا بل مؤذية ..) !! ويقولون : النمط الاستهلاكي كطريقة عيش، مفهوم الحرية المفتقر للضوابط، مفهوم الفرد الذي يقدم كأنه صانع نفسه بنفسه، تراجع الزواج والحياة العائلية، إضافة لجهاز هائل للتسلية والاتصال يمجد هذه الأفكار وينشرها سواء أجرى تقبلها أم لا في ما يقارب كل جوانب كوكبنا .. حين ننظر إلى مجتمعنا اليوم نلحظ فروقات عديدة بين المثل التي نطمح إليها وبين ما نمارسه من سلوكيات ...) .

انظر مجلة الاجتهاد العدد ٥٤ السنة ١٤ الصادرة في ربيع من عام ١٤٢٣هـ ص ٢١٥ .

٤ ـ النظرة الإسلامية لنشأة الإنسان والكون :

للإسلام نظرة خاصة إلى نشأة الإنسان، غير مسبوقة ولا هي منبثقة من دراسات تاريخية بشرية ولكنها نظرة مستقلة رائدة في تكاملها، وتناسقها، وشمولها لكل جوانب النفس البشرية، وكل جوانب الحياة، وهي النظرة الوحيدة التي اتسمت بالشمول والعمق والاتزان،

حيث نظرت إلى الإنسان على أنه كائن بشري له مواصفات خاصة به يتميز بها عن باقي المخلوقات . فقد أخبرنا الله تعالى أنه خلق الإنسان نقياً طاهراً مكرماً، فقال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص : ٧١، ٧٢)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٣٠)

وقد تجلت مظاهر تكريم الله عز وجل لهذا الإنسان من بداية الأمر بالخلق، فقد خلق الله آدم عليه السلام بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له .

ومن ظواهر التكريم كذلك : أن بني آدم من بعده ولدوا على فطرة نقية فاضلة، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء : ٧٠)

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته :

(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمتْ عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . . . . الحديث) صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ كتاب الجنة رقم ٦٣

أي خلقتهم وهم ميالون بطبيعتهم إلى الإيمان، ميالون إلى التصديق بأن الله خلقهم على فطرة تؤمن بوجود خالق ومخلوق، صانع ومصنوع، إله يُدَبر ومخلوق مُدَبَّر، وأن لكل مخلوق خالقاً هو الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عيه وسلم :

(كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فتح الباري ٢٤٦/٣ .

أترى إكراماً أرقى شأناً وأعلا مكاناً من هذا التكريم ؟

وما أولئك الذين جعلوا من الإنسان حيواناً تمثل في الداروينية أو خطيئةً تمثلت في من صرف دين الله إلا الدعوة إلى إخراج إنسان غير سوي في تعامله النفسي والاجتماعي مع غيره من بني الإنسان وإلا الدعوة إلى أن يصبح الإنسان عبداً لشهوته وحظوظ نفسه يعيش كما تعيش البهائم . . .

ويؤسفني أن شيئاً غير قليل من ذلك قد تحقق في بعض المجتمعات التي أريد لها تطبيق تلك المفاهيم وأمثلتها في الواقع الغربي والمستغرب كثير وكبير .

منحة الفطرة

منحة العقل المتدبر في ملكوت الله

منحة إرسال الرسل - عليهم السلام

منحة إنزال الكتب

منحة تأييد الرسل بالمعجزات القاهرة

المبحث الثاني

في بعض المنح الإلهية

مِنَحُ الله سبحانه وتعالى للبشرية كثيرة لا تحصى، ولا يمكن لأحد أن يزعم مهما بلغ من العلم والمعرفة بأنه قادر على إحصاء هذه المنح، وقد يحظى من فتح الله عليه ومن عليه بشيء من العلم بالتوصل إلى معرفة بعض المنح الإلهية لهذه البشرية، وإني لأرجو من الله عز وجل أن أوفق لبيان خمس من أهم المنح الإلهية لهذه البشرية، هي : منحة الفطرة، ومنحة العقل المتدبر في ملكوت الله عز وجل، ومنحة إرسال الرسل، ومنحة إنزال الكتب، ومنحة تأييد الرسل بالمعجزات، وذلك لما يترتب عليها من إقامة حجة الله على عباده، وبيان البراهين الدالة على عظمة الخالق سبحانه وتعالى .

المنحة الأولى - منحة الفطرة :

الفطرة لغة : الحالة من الفطر، وهو الابتداء والاختراع (انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣ /٤٥٧) يقال : فطره يَفْطُرُهُ : أي خلقه (انظر : لسان العرب لابن منظور ٥ / ٥٦)

وفي الاصطلاح هي : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به (انظر المصدر السابق)

قال أبو الهيثم : الفطرة : الخلقة التي يُخْلَقُ عليها المولود في بطن أمه (انظر المصدر السابق) .

و منه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (الزخرف : ٢٧) أي خلقني .

فالفطرة إذاً هي أصل التكوين، وهذا هو الحق الذي يعتقده المسلمون، وذلك أن الله خلق الإنسان تقياً نقياً طاهراً، وإذا ما طرأ عليه طارئ من انحراف فإنما هو بتأثير مؤثرات خارجية، فإذا سار الإنسان على الإيمان فإنما يسير على فطرة الله التي فطره الله عليها، وإذا سار على غير ذلك كان سيره على خلاف الفطرة التي فطره الله عليها . ولذلك نجد أن المؤمن يعيش في توازن بين مطالب روحه وحاجات جسده، وبين أصل خلقته وبين منهجه في السلوك والتشريع والحياة، ومثل هذا التلاقي والتواؤم والانسجام لا يوجد إلا في ظلال الإسلام .

فإذا ما نظرنا إلى حياة المسلم نجد أنها في سعادة وأنس وطمأنينة، وهو على نقيض الحياة التي يعيشها غير المسلم من : انفصام في الشخصية، وعدم تواؤم بين الروح والجسد، وعدم توازن بين

فطرة الله وبين المؤثرات الخارجية عليها .

لذا كان إيماننا بأن جميع الناس ولدوا على الفطرة . وهذه أول منحة منحنا الله إياها في الدلالة عليه سبحانه وتعالى .

المنحة الثانية ـ منحة العقل المتدبر في ملكوت الله :

هذا العقل الذي أعطانا الله، ليس من اللائق أن يكون عقلاً معطلاً ولكنه عقل متدبر في ملكوت الله الرحب، من سماوات وأرضين تجعل العاقل يدرك من خلال تأمله وتفكيره أن وراء هذه الدقة في الإحكام حكيم، ووراء الدقة في الرحمة رحيم، وإذا سرح عقله متأملاً في النتائج التي يراها وقد تجلت فيها مظاهر الحكمة والحرمة والعلم وعظيم التدبير علم علم اليقين أن وراء هذه الحكمة حكيم وأن وراء هذه الرحمة رحيم وأن مدبر ملكوت السموات والأرض حي قيوم جليل عظيم، وبذلك يتوصل العاقل إلى المقدمة من خلال النتيجة التي يشاهدها، ولذلك أمرنا ربنا عز وجل أن يتأمل في الملكوت الرحب،

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(آل عمران : ١٩٠، ١٩١)

وقد يسأل الإنسان الذي تاهت به السبل عن المنهج الحق في استعمال العقل للدلالة على الخالق **نقول له** : إن المنهج السوي والمنهل الروي والطريق الأسلم والأعلم والأحكم هو منهج القرآن الكريم الذي أجمل الله فيه هذه القضية الكبرى قوله عز وجل :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الطور : ٣٥) ثم تحداهم عز وجل فقال:

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور : ٣٦)

وملخص هذه المسألة التي أخبرنا بها ربنا عز وجل أوجزه في **ثلاث قواعد** :

الأولى : أن لكل فعل فاعل، فما من فعل في الوجود المنظور في عالم الشهادة إلا وله فاعل .

الثانية : أن الفعل مرآة لقدرة الفاعل ولبعض صفاته فأنت تقرأ بعقلك وتنظر بعين البصيرة والتدبر كثيراً من صفات الفاعل من خلال الفعل، فمثلاً هذا الجنين الذي تكون في رحم أمه من

أين له طعامه وشرابه وتنفسه ثم هو في بطن أمه عاش يسبح في ماء المشيمة وراء ظلمات ثلاث : ظلمة المشيمة والرحم وبطن أمه، فلما خرج منها وانقطع عنه رزقه بقطع الحبل السري المتصل بأمه وجدنا له رزقاً جديداً في نهرين جاريين من ثدي أمه في الشتاء دافئاً وفي الصيف بارداً، ولما خرج وجدنا له لساناً يصرخ به معلناً حاجته إلى الغذاء وعينان يرى بهما وقدمان مهيئات للسير عليهما، وغير ذلك .

ألا ترى بعين البصيرة وتقرأ صفات من أوجده، إنك إن فعلت ذلك وتدبرت في هذه الحقيقة فإنك ستقول وبكل ثقة : إن الذي أوجده رحيم لأنك ترى آثار هذه الرحمة التي حفته من البداية إلى النهاية، إنك تستطيع أن تقول : إن الذي أوجده يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون إذ هيأ له من وسائل السمع والبصر والكلام والحركة ما به يستطيع أن يمارس حياته في كل مرحلة من مراحل عمره .

ورأيت أربعة أنهار في وجهه؛ دمع في العين ولعاب في الفم ومسمع في الإذن ومخاط في الأنف، وكل واحدة من هذه النعم في موقعها الذي تتجلى معه صفة الحكمة البالغة .

وهكذا تستمر في قراءتك لهذه الحقيقة لكي تستخرج صفات الإحاطة والقدرة والقيومية والخلق وعلم الغيب والشهادة والملك والهيمنة والخلق وحسن التكوين، فنعلم علم اليقين أن من أوجده وخلقه هو وحده لا شريك له من يتصف بهذه الصفات العظيمة صفات الرحمة والعلم بما كان وما هو كائن وما سيكون، والقدرة على الإيجاد من العدم وعلم الغيب والشهادة وحسن التكوين والهيمنة على هذا الوجود من الذرة إلى المجرة : إنه الله الذي لا إله إلا هو .

إنك تقول ذلك بلسانك وتعتقده بقلبك وجنانك، لماذا : لأن ما سوى الله زيف وباطل ومغالطة للعقل والحق، فالصدفة وهي مرجع من تنكر لله وجحده تخذل صاحبها عندما تتجلى مظاهر الحكمة في الخلق والصدفة لا حكمة فيها ولا انضباط، وهذا الكون البديع في خلقه العظيم في تكوينه بهذه الدقة المتناهية والنظام المحكم هو الناطق القوي بتهافت الصدفة وسقوط دعواها، أما أولئك الذين إذا سألتهم من أوجد هذا الوجود إنساناً وكوناً وحياةً وأحياءً تواروا وراء عبارة (الطبيعة)، وإذا سألتهم أليست الطبيعة فعيلة بمعنى مفعولة، أي أنها مخلوقة وكل مخلوق يحتاج إلى خالق إذ قد علمنا أن لكل فعل فاعل ... ثم تزيدهم حرجاً وتبطل دعواهم عند أهل الحق والعدل عندما تقول لهم : أليست هذه (الطبيعة) أي المخلوقة كانت قبل وجودها عدماً، والعدم لا يوجد نفسه، فنفسه قبل الوجود كانت عدماً، إذاً هو غير قادر على أن يوجد هذا الوجود، فلم يبق أمامك أيها الباحث عن الحق أيها السائل عن الحقيقة ببرهانها وعظيم حجتها وجلاء دليلها، إلا أن تعلم علم اليقين الذي لا يخالطه شك ولا تزعزعه ريبة، والبراهين من حولك ناطقة بصفاء لا غبش فيه، وأن تعتقد وبكل ثقة أن الخالق الرازق المدبر لملكوت

السموات والأرض هو الله ولا شيء غير الله . وإذا كان ذلك كذلك فإنه وحده المحبوب المعبود المطاع ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٤)

إلى آخر هذه القضية، فالمنحة الثانية هذه هي منحة العقل المتدبر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، غير أن الفطرة والعقل لا يكفيان في إقامة الحجة، وإنما يؤهلانه لقبول البلاغ وإدراك المطلوب منه .

المنحة الثالثة ـ منحة إرسال الرسل ـ عليهم السلام ـ :

فمنذ أن خلق الله البشرية على ظهر هذه الأرض والرسالات لم تنقطع في أي عصر من العصور، أو في أي وقت من الأوقات، وكان أول نبي على وجه الأرض آدم ـ عليه السلام ـ ، وأول رسول نوح ـ عليه السلام ـ وتوالى بعث الرسل والأنبياء بحيث لم تمض أمة بدون رسالة إلى أن ختمهم الله بخاتمهم وسيدهم وإمامهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا كان إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم منحة من الله سبحانه وتعالى أقام بها الحجة على الخلق .

أما من لم تصلهم دعوة أو تبلغهم رسالة فإن أرجح الآراء فيهم أن الله سبحانه وتعالى يمتحنهم في عرصات القيامة امتحاناً يليق بهم، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، كما بين سبحانه في قوله :

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (القلم: ٤٢)

وانظر تفصيلاً وافياً للموضوع في كتاب أضواء البيان ٣/ ٤٧١ - ٤٨١ .

وفي هذا تأكيد منه سبحانه على عدله، ونفي الظلم عنه سبحانه، حيث قال في محكم تنزيله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الإسراء: ١٥) وذلك بإقامة الحجة عليهم من خلال الرسل وإنزال الكتب .

والمهم هنا أن النبوة أمر لا بد منه في إقامة الحجة، وهذه هي المنحة الثالثة .

ولكن السؤال هنا : لماذا ختم الله الرسل بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف كانت حجته ؟

ذلك ما سنتناوله في مبحث آتٍ إن شاء الله .

المنحة الرابعة ـ منحة إنزال الكتب :

كل نبي أرسله الله عز وجل أعطاه شيئين مهمين، الأول الكتاب والثاني المعجزة الدالة على صدقه، وهذه الكتب تضمنت الشرائع والآداب والأحكام والنظم، وكيفية تسيير الحياة، وكيف يجب أن يسير الناس على هدى الله، لأن الله الذي خلقهم هو العالم بما يصلح أحوالهم . ونؤمن ونعتقد بأن الله سبحانه يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، ويعلم ظواهر الأشياء وبواطنها، ويعلم أسرارها وخفاياها، وليس ذلك بالمستغرب، فهو الخالق العالم بكل دقيقة وجليلة في هذه الخلائق، ولذلك فإن شرعه وأمره وتوجيهه للبشرية منطبق مع سنة الله في فطرة الإنسان، ومع قدراته، بل ومع احتياجاته الجسدية والروحية والنفسية والاجتماعية، والإنسان مهما بلغ علمه غير قادر على الإحاطة بما كان وما هو كائن وما سيكون ونتاج عقله المجرد عن وحي الله الذي أوحاه نتاج ناقص وعطاء قاصر .

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم: ٦، ٧) وانظر تفسيرها في أضواء البيان ٦/ ٤٧٧ .

ولذلك بعث الله بالمنهج المحيط الذي يصلح الأحوال عن طريق الرسالات والكتب .

المنحة الخامسة ـ منحة تأييد الرسل بالمعجزات القاهرة :

ما من نبي إلا وهبه الله معجزة أيده بها، فما هي المعجزة ؟ وما المراد بالإعجاز ؟

المعجزة هي : الشيء الخارق للعادة المقرونة بالتحدي السالم عن المعارضة.

(انظر فتح الباري ٦/٥٨٢)

ويراد بها الصيغة والطريقة التي تحدى الله بها كل قوم أرسل إليهم رسولاً ليعلموا أن هذا الرسول ما جاء بما جاء به من عقيدة تقتضي توحيد الله عز وجل وأحكام وشرائع من عنده، وإنما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى .

وعلى هذا فالإعجاز هو التحدي . وهو آية وبرهان ودلالة وعلامة على أن الذي قاله الأنبياء والرسل إنما هو من عند ربنا سبحانه وتعالى .

وبما أن الإعجاز هو المحور الرئيس في إقامة الحجج والبراهين على البشرية ، فسيكون القضية الأساس التي نتحدث عنها في الصفحات القادمة من هذا الكتاب .

الإعجاز المادي

الإعجاز البياني

إعجاز الهداية

الإعجاز التشريعي

الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة

مشاهد من الإعجاز العلمي

المبحث الثالث

في أنواع من إعجاز القرآن الكريم

قبل أن أتحدث عن أنواع الإعجاز في القرآن الكريم أرى أن نقف قليلاً مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي بين لنا فيه حقيقة هذا الجانب بياناً جلياً . فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)

صحيح البخاري ٩/ ٣ وصحيح مسلم ٤/ ١٣٤

يعني آتاه الله من الإعجاز والبيان ما مثله آمن عليه قومه، ويعلمون أنه من عند الله، وأنهم لن يقدروا على رده، وأنهم لو تشككوا ولم يعترفوا بالحقيقة، فيكون ذلك من باب الكبر والعناد والصد عن سبيل الله عز وجل . كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٣)

ولذا كانت معجزة كل نبي مناسبة لحال قومه، فلما كان السحر فاشياً عند فرعون جاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره . وكان أول من آمن بموسى عليه السلام هم السحرة، الذين هم أقوى حجة كانت في يد فرعون، لأن السحر ظاهرة خرافية شيطانية ابتلعتها حقيقة ربانية إلهية، والسحرة وهم أهل العلم بالسحر أيقنوا يقيناً لا شك فيه أن ما جاء به موسى ليس سحراً، ولكنه إعجاز لا يقدر البشر على فعله .

ولما قال لهم فرعون : لأقتلنكم، قالوا : ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ (طه : ٧٢، ٧٣)

لأنه أكرههم على أمر خرافي ولكن الله تعالى جعل فيما أتى به موسى - عليه السلام - معجزة بهرت السحرة فاستيقنوا أن هذا من عند الله تبارك وتعالى .

وأعطى الله عيسى عليه السلام القدرة على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص لأنه كان في زمن تقدم فيه الطب قال تعالى :

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ (المائدة : ١١٠)

هذه القضايا جاء الله بها من أجل أن يبهرهم، وأن يقهر العقول المعرضة عن قبول الحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام .

فلما أشرقت أنوار رسالة الإسلام والتي بعث بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتي جاءت في زمن أظلمت فيه جوانب الحياة وتسلط فيه الظلمة وعم الجور وفسد التدين فمقت الله أهل الأرض إلا بقية ممن كانت تعبد الله على ملة إبراهيم، وعند ذلك أذن الله ببعثته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعطه الله نوعاً واحداً من الإعجاز ولكن الله أعطاه أنواعاً كثيرة من الإعجاز أظهرها وأهمها : خمسة أنواع من الإعجاز لأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة دائمة مستمرة متجددة . ولو جاءت أمةٌ بعد هذه الأمة واكتشفت من العلوم والتقنية ما يفوق هذا ألف مرة لكان في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحقائق المبهرة المذهلة لعقول الناس ما يظهر الله به حجته في كل وقت لتبقى آية الله متجددة، ينكسر أمام عظمتها، ويذل أمامها كبار علماء الغرب والشرق المتخصصين في مختلف العلوم، ويقفون عندها مسلمين وموقنين بأنه لا يمكن لأحد من البشر أن يأتي به بل كل ذلك من عند الله .

أعطى الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنواعاً كثيرة من أنواع الإعجاز، أهمها خمسة أنواع رئيسة هي :

أولاً ـ الإعجاز المادي :

أعطى الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم معجزات مادية محسوسة عديدة منها :

١ ـ نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

وقد حدث ذلك مراراً، وأشهرها ما أشار إليه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال :

(عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال : (مالكم ؟) قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة) صحيح البخاري مع الفتح ٦/ ٥٨١ رقم ٣٥٧٦

وفي هذا دلالة بالغة على أن الله على كل شيء قدير، كما أنه يبين للمسلم أنه متى اتكل على الله حق التوكل فإن الله سبحانه يكلؤه ويحفظه، ونبع الماء من بين أصابعه وتفجر هذا الماء بين يديه في ركوة وهي إناء صغير دليل قاطع وبرهان جلي على ذلك إنما يكون لنبي وهو الآية والعلامة على أن هذه الأمة على الحق الذي لا مرية فيه .

٢ ـ تسبيح الحصى بين يديه صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ حنين الجذع .

٤ ـ تكثير الطعام .

وغير ذلك كثير مما ورد عن معجزاته الحسية صلى الله عليه وسلم ليس هنا مكان استقصائها .

ثانياً ـ الإعجاز البياني :

الإعجاز البياني من صيغ الإعجاز التي تجمع بين بلاغة اللفظ وحسن المعنى ولم يستطع البلغاء مجاراته أو محاذاته ومشاكلته، ومن حاول ذلك كان كلامه سخفاً وصدق الله القائل :

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود : ١)

وقد تحدى الله عز وجل به كفار قريش والعرب، بل الإنس والجن، ولم يستطع أحد كائناً من كان أن يقاوم هذا التحدي، على الرغم من أن قريشاً كانت حين نزل القرآن الكريم قد بلغت الذروة العليا في البلاغة والفصاحة إذ قد صب الله جمال اللغة وبلاغتها في لسان قريش مما جعلها الحاكمة على العرب في أسواقها كعكاظ وذي المجنة والمجاز .

ولذا تحداهم تحدياً عجيباً، وتدرج معهم في مراتب هذا التحدي، إذ طَلَبَ منهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، الذي يتكلمون كلماته، ويعرفون معانيه، ثم تنزل فطالبهم بالإتيان بعشر سور من مثله فلم يستطيعوا، فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا .

ومن ناحية أخرى : أسفر الله عن خفايا قلوبهم، وأبان لنبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم كانوا يعلمون أن هذا حق، وأن من المستحيل أن يكون من عند بشر، وما صدودهم عن دين الله إلا كبراً وحسداً وعناداً .

قال تعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٣)

فهذا ابوجهل يعلق على رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب بقوله مخاطبا العباس رضي الله عنه : إنا وإياكم كفرسي رهان، فاستبقنا المجد منذ حين، فلما تحاكت الركب، قلتم : منا نبي . فما بقي إلا أن تقولوا : منا نبية . ـ انظر : تفسير الدر المنثور للسيوطي عند الآية ٨ من سورة الأنفال

ورغم تكذيب قريش ومعاداتها، كانت أساطينها وساداتها يتسللون ليلاً ليستمعوا إلى تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إعجاباً وانبهاراً وذهولاً من عظمة هذا القرآن وجماله ،

فقد روى ابن هشام : أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا إلى تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل واحد منهم لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا؛ فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى

مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق . فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا . وذلك لأن بيان القرآن، وجمال أسلوبه، ورقي لغته قد بلغ منهم مبلغاً قوياً في تأثيره ولم يستطيعوا مقاومة هذه البلاغة إلا بمثل ما فعلوا، ولكن صدهم عن الحق الكبر والغطرسة، وهذا عتبة بن ربيعة حين أرسلته قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تطالبه بالكف عن سب آلهتهم وليحد من دعوته، فعرض عليه بعض المغانم مقابل ذلك - انظر سيرة ابن هشام ١/٣١٥ -

فلما انتهى من كلامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، قال : (أوقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فتسمع مني ؟ قال : أفعل) ، فقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً . . . ﴾ إلى أن وصل إلى قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت : ١ - ١٣ وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٦ - ١٤٣)

وكان أبو الوليد متكئاً فجلس وقبض على فم النبي صلى الله عليه وسلم وبدلاً من أن يذهب إلى كفار قريش الذين أرسلوه وكانوا مجتمعين في دار الندوة عاد إلى بيته فلقيه في الطريق أبو جهل وقال له : يا أبا الوليد أين أنت ذاهب ؟ وماذا وراءك ؟ قال : دعني فقد سمعت كلاماً ما سمعت مثله قط، ليس هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أوله لمثمر وإن آخره لمورق .. لقد كان مذهولاً مأخوذاً بجمال هذا البيان وعظمته .

ثالثاً ـ إعجاز الهداية :

وهذا النوع من الإعجاز هو الغاية والهدف الأسمى من القرآن الكريم، أما غيره فهو تابع له، ووسيلة من وسائله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (الإسراء : ٩)

كان الفساد والظلم والظلام قد عم الدنيا، فجاء الإسلام وأضاءها بنوره، وسرى إلى القلوب والعقول فحررها وأعلا من اهتماماتها فنبذت كل ما سوى الله تعالى .

ومن أجل هذه الغاية، وهذا الهدف السامي، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ دين الله في هذا العالم، وينشره في الأرض، ويجاهد في سبيله حق جهاده، وفي سبيله بذل الصحابة رضوان الله عليهم والصالحون من المسلمين من بعدهم دماءهم وأموالهم لإيصاله إلى أنحاء المعمورة، ولقي المسلمون ما لقوا من العذاب، وقاسوا ما قاسوا من الأهوال من أجل المحافظة عليه في نفوسهم ونفوس أبنائهم . وشواهد ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال :

١ - ففي الصين وجدت فيها قرى حصرت نفسها في قمم الجبال، يعيش أهلها على شظف العيش حفاظاً على دينهم .

٢ - وفي بعض الجهات الإسلامية الموجودة على سطح التبت، بين باكستان وبلتستان والصين، هناك قرى أنشئت في قمم الجبال من أجل دينها فقط، وهم يقولون : نعيش على شظف العيش من أجل أن نحافظ على ديننا .

٣ - حورب الإسلام في روسيا حرباً لا هوادة فيها، ولا يمكن لعقل أن يتصور مداها ومع ذلك بقي الإسلام فلم يقض عليه .

٤ - وفي إسبانيا أقيمت محاكم التفتيش المشهورة من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين . ومع ذلك لا تزال شواهد بقاء الإسلام والمسلمين قائمة حتى يومنا هذا

رأيت بعيني، وسمعت بأذني في روسيا - حين زرتها للمشاركة في مؤتمر الإعجاز العلمي الذي طالما تحدث عنه - في المؤتمر الذي عقدناه في معهد جورباتشوف الذي كان قبل ذلك معهداً لتخريج الكوادر الإلحادية إلى الأرض، وكان يصدر الإلحاد إلى الأرض، ولا يوجد شيوعي في العالم إلا استقى من هذا المكان فكرة الإلحاد . يقول رئيس هذا المعهد :

من هنا كنا نصدر إلى الدنيا (لا إله) - فجئتم لتثبتوا لنا أن (لا إله إلا الله) بمنطق العلم .

وجئنا نحن إلى هذا المعهد وعقدنا مؤتمراً للإعجاز العملي فيه، وأسلم أثناء المؤتمر سبعة من كبار علماء روسيا بمجرد انقشاع سحب الإلحاد عن روسيا، خرج المسلمون من تحت الأرض، ومن وسط اللهب، وهم يقولون :

(لا إله إلا الله نحن مسلمون - لم ينتزع الإيمان من قلوبنا)

كل ذلك وغيره من الشواهد الكثيرة يدل على أن الإسلام دين الله الذي تجاوبت معه الفطرة، وأنه لا يمكن لأحد مهما بلغت قوته وسطوته أن يزيل تلك الهداية من قلوب الناس . إنه إعجاز الهداية، التي إذا خالطت قلباً بقيت فيه وتشبثت به . يقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف : ٨)

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ (الأنفال : ٣٦)

إن من أعظم شواهد وصدق هذا الدين أنه دين الفطرة ولذلك ما دخل الإسلام أرضاً وخرج منها بل استوطنها وعاش فيها وأصبح جزءاً من كيانها إلا الأندلس فإنها البلد الوحيد الذي خرج منه المسلمون لحكمة أرادها الله وعبرة لمن يريد أن يعتبر وقد خرجوا لسببين اثنين وهما داء الأمم : إنهما الخلاف والترف، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

رابعاً - الإعجاز التشريعي :

المراد بالتشريع هو : ما أودعه الله في كتابه وفي سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام وتشريعات منظمة لصناعة الحياة، وبنائها وعمارتها ليفوز من يعمل به بنعيمي الدنيا والآخرة .

بمعنى آخر : كيف نحقق عقيدتنا ونؤدي عباداتنا كما أمرنا الله ؟ وكيف نصيغ حياتنا في أمورنا الدنيوية ؟ وكيف نضبط علاقاتنا الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، والأسرية، من : زواج وطلاق، وبيع وشراء، وسلم وحرب ... إلخ على وفق ما أراده الله منا ؟

ففي كل ذلك إعجاز تشريعي عجيب، شهد على عظمته غير المسلمين، وكما جاء في المثل المشهور (والحق ما شهدت به الأعداء)، وهي شهادات كثيرة، أكتفي بذكر شهادتين منها :

الشهادة الأولى :

ما ذكره أحد كبار علماء الاقتصاد الغربيين في ختام أحد المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية التي عقدت في مدينة بادن في ألمانيا، كنت أحد الحاضرين فيه، وضم مائة وعشر من علماء الاقتصاد المسلمين، ومائة وعشرين من علماء الاقتصاد الغربيين الذين جاءوا من غرب أوروبا، لمناقشة قضية الاقتصاد الإسلامي، وفي اليوم الأخير من المؤتمر، وقف رئيس فريق الاقتصاديين الغربيين، وقال : (لقد تبين لي وللفريق العامل معي أن إنقاذ العالم من مأساته الاقتصادية، موجود عندكم أنتم معشر المسلمين)

الشهادة الثانية :

ما قالته عضوة في مجلس العموم البريطاني أثناء جلسة لمناقشة قضية انتشار الإيدز، الذي أصبح الشغل الشاغل لكثير من الناس. وكان المجلس قد طلب رأيها في حل مشكلة هذا الداء العضال الذي أصبح يهدد العالم بأجمعه. فقالت : (أتريدون أن أخبركم بالحل لمرض الإيدز ؟ إنه الحل السعودي) وتقصد بالحل السعودي : الحل الإسلامي، أي : إقامة الحد على مقترف هذه المعصية، فهو الذي سوف يقضي على ظاهرة الإيدز .

وللإعجاز التشريعي جوانب متعددة، منها :

- الإعجاز التشريعي في مجال الجنايات .
- الإعجاز التشريعي في مجال المعاملات .
- الإعجاز التشريعي في مجال العلاقات الأسرية .
- الإعجاز التشريعي في مجال العلاقات الدولية .

ليس هنا مجال بحثها، ولها مصادرها الخاصة بها، في كتب الفقه، وكتب فقه السياسة الشرعية، والكتب التي تناولت بعض الجوانب التفصيلية في بعض المجالات التي تتعلق بتنظيم الحياة الإنسانية وفقاً لتشريعات الإسلام وأحكامه .

خامساً - الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة :

و هو مدار حديثنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة ومشاهد منه

تمهيد في أهمية الإعجاز العلمي ، ، ،

تنبع أهمية الإعجاز العلمي من عدة جوانب، هي :

الجانب الأول : أننا نعيش في زمن يسميه الكل : زمن العلم . فما من دارس، أو صاحب اختصاص من الاختصاصات، سواء في الطب أو الهندسة أو العلوم الشرعية أو الإنسانية إلا وهو يقول : (نحن في زمن العلم)، بحيث أصبح الشغل الشاغل للصغير والكبير، والمعيار لأي عمل أو نظرية . ولذا كان لا بد أن يكون إعجازنا في هذا الزمن إعجازاً علمياً .

الجانب الثاني : الإعجاز العلمي خطاب إلى العقول في أرقى صورها، وأعلى درجات إدراكها .

الجانب الثالث : الخطاب في الإعجاز العلمي موجه نحو العلماء القادرين على فهم المراد منه، والمدركون لأهميته وقيمته العلمية

وقد أخذت الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة على عاتقها القيام بأداء هذه الرسالة إفادة منها وتبياناً لها ووضع ضوابط ومعايير لمن يعمل فيها .

الإعجاز العلمي

بناء على ما تقدم، يمكننا أن نعرف الإعجاز العلمي بأنه هو :

الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، المتعلق بقضية علمية وصل العلم فيها إلى سقف المعرفة ولم يكن في مقدور البشر ولا في علمه في شتى بقاع الأرض علم بها وقت تنزل الوحي بها أو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ، ،

بل إن هذه الحقائق التي تضمَّنهما القرآن والسنة وجدت مدونة في القرآن في القرن السابع الميلادي، وأن من كان يقول بها أو ببعضها في أوائل القرن السابع عشر وقبله ربما قتل أو أحرق، وكانت دلالة النص عليها دلالة ظاهرة، بحيث اتفقت الحقيقة العلمية[1] مع الدلالة الشرعية الظاهرة الواضحة في القرآن والسنّة .

مشاهد من الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة

مشاهد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة، وقد أثبتت التجارب العلمية والأبحاث الصادرة عن مراكز البحث العلمي المتخصص أنها حقائق علمية لا يمكن لمنصف تجاهلها وإنكارها، بحيث وقف أمامها أكابر علماء الغرب وقفة إجلال وتصديق وانبهار .

وقد قال لي الدكتور مارشال جونسون - وهو من كبار العلماء في علم الأجنة - ذات مرة، بأنه لو تم تقديم الحقائق التي تم التوصل إليها في بلاد الغرب، وفيها الدلالة على صدق النبي الذي يؤمنون به لقامت الدنيا ولم تقعد، وأستغرب منكم، كيف تسكتون والدلائل على صدق نبيكم بين أيديكم واضحة جلية [2].

وعليه فإننا سنستعرض بعض مشاهد الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الصفحات القادمة ضمن صور من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تتضمها موضوعات متنوعة .

---

(١) بمعني أنه لا يقبل في هذا المجال إلا ما تجاوز الفرض والنظرية .

(٢) جانب من حوار دار بيني وبينه على هامش المؤتمر السعودي الطبي الثامن .

الحقيقة العلمية

تمثل الثقوب السوداء Black Holes مرحلة الشيخوخة في حياة نجوم عملاقة أكبر كتلة من الشمس بأكثر من خمس مرات ، ، ،

وتتميز الثقوب السوداء بكثافة كبيرة وجاذبية بالغة الشدة بحيث لا يفلت من أسرها شيء حتى الضوء نفسه البالغ السرعة (حوالي ۳۰۰ ألف كم/ثانية)، ومن هنا كانت تسميتها التي تعكس وجود مناطق كالثقوب في صفحة السماء اختفى فيها كل شيء فبدت فجوات، وهذه النجوم العملاقة المختفية أو المتوارية تكنس في طريقها كل شيء يقاربها حتى النجوم ولذا سميت بالمكانس العملاقة Giant Vacuum Cleaners وقد دلت عليها الحسابات النظرية التي قام بها كارل شفارز تشايلد Child Karl Schwars عام ۱۹۱٦م وروبرت أوبنهاير Oppenheimer Robert عام ۱۹۳٤م ومنذ عام ۱۹۷۱م تزايد احتمال وجودها تأكيداً، ويعتقد العلماء بأن مركز مجرتنا (درب التبانة) على سبيل المثال عبارة عن ثقب أسود .

ثقوب سوداء

وجه الإعجاز

نفي القَسَم في أسلوب القرآن الكريم تأكيد له وكأنه تعالى يقول : لا حاجة للقسم مع تلك الحجة البينة، وقد ورد القسم في معرض الاستدلال على أن القرآن وحي من عند الله، قال تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة التكوير : ۱٥-۱۹)

وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسوم به وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماماً مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ (جوار)، وأما اللفظ (خنس) فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها : التواري والاحتجاب والاختفاء، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار، وهي بالفعل نجوم عملاقة هوت في نهاية أعمارها وانكمشت مادتها واستترت ولا يظهر منها أية ضوء، والسبب شدة جاذبيتها التي تجعلها تكنس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلعه فتزداد كتلة وقوة؛ وهنا يتجلى وصفها بلفظ (الكنس) أو المكانس العظام. والمعرفة بتلك الأوصاف حديثة، لذا فإن ورودها في القرآن الكريم بألفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق . فتبارك الله القائل :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (ص : ۸۷، ۸۸)

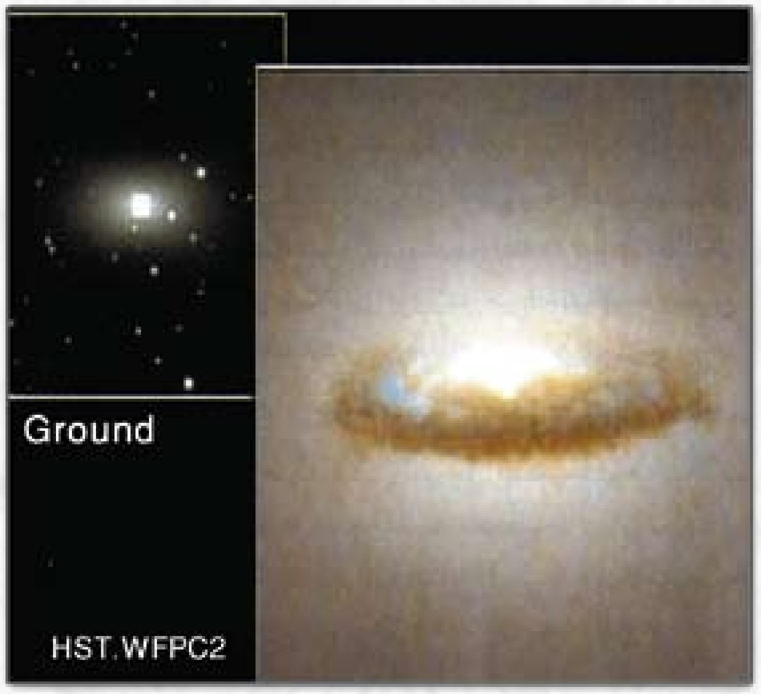

نجم خانس يدور حول محوره ويحاط بقرص رقيق من المواد المجتمعة حوله

قال تعالى :

﴿ إنَّ الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بدَّلناهُم جُلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إنَّ الله كان عزيزاً حكيما ﴾

(النساء : ٥٦)

الحقيقة العلمية

كان الاعتقاد السائد قبل عصر الكشوف العلمية أن الجسم كله حساس للآلام ، ، ،

ولم يكن واضحاً لأحد أن هناك نهايات عصبية متخصصة في الجلد لنقل الأحاسيس والألم، حتى كُشف دور النهايات العصبية في الجلد وأنه العضو الأهم لاحتوائه على العدد الأكبر منها.

كما أثبت علماء التشريح أن المصاب باحتراق الجلد كاملاً لا يشعر بالألم كثيراً نتيجة تلف النهايات العصبية الناقلة للألم بخلاف الحروق الأقل درجة (الدرجة الثانية) حيث يكون الألم على أشده نتيجة لإثارة النهايات العصبية المكشوفة. كما أثبت علماء التشريح أيضاً أن الأمعاء الدقيقة خالية من الداخل من المستقبلات الحسية بينما توجد بكثافة عالية في منطقة المساريقا التي تقع بين الصفاق الجداري والطبقة الخارجية للأمعاء المغلفة بالصفاق الحشوي ويوجد في هذه المنطقة عدد كبير من جسيمات (باسيني)، ويبلغ حجم الصفاق الجداري ٢٠٤٠٠ سم مكعب ويساوي نفس حجم الجلد الخارجي للجسم، كما أن متلقيات الألم (RECEPTORS) والوحدات الحسية الأخرى الموجودة في الأحشاء تشبه تلك الموجودة في الجلد .

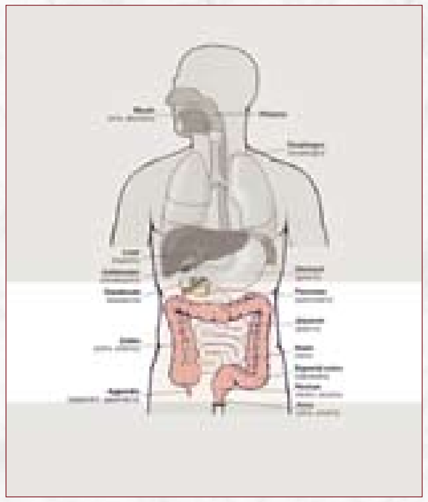

منطقة الأمعاء في جسم الإنسان

وجه الإعجاز

أولاً : بيّن الله سبحانه وتعالى أن الجلد هو محل العذاب . .

فربط جل وعلا بين الجلد والإحساس بالألم في الآية الأولى وأنه حينما ينضج الجلد ويحترق ويفقد تركيبه ووظيفته يتلاشى الإحساس بألم العذاب فيستبدل بجلد جديد مكتمل التركيب تام الوظيفة ، تقوم فيه النهايات العصبية - المتخصصة بالإحساس بالحرارة وبآلام الحريق - بأداء دورها ومهمتها؛ لتجعل هذا الإنسان الكافر بآيات الله تعالى يذوق عذاب الاحتراق بالنار .

ولقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلا في الجلد، وما كان بوسع أحد من البشر قبل اختراع المجهر وتقدم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ...

ثانياً : هدد القرآن الكريم الكفار بالعذاب بماء حميم يقطع أمعاءهم في الآية الثانية.

واتضح السر في هذا التهديد أخيراً باكتشاف أن الأمعاء لا تتأثر بالحرارة، ولكنها إذا قطعت خرج منها الماء الحميم إلى منطقة المساريقا الغنية بمستقبلات الحرارة والألم والنهايات العصبية الناقلة لهما إلى المخ فيشعر الإنسان عندئذ بأعلى درجات الألم .

وهكذا يتجلى الإعجاز العلمي في الإحساس بالألم بالتوافق بين حقائق الطب ومعجزات القرآن الكريم .

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾

(سورة إبراهيم : ٥٢)

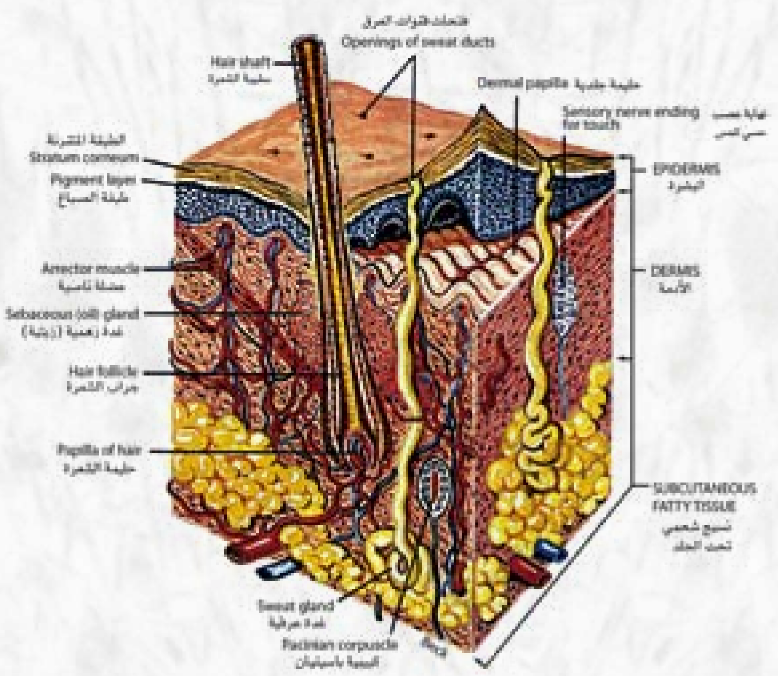

منظر مجهري للجلد في قطاع طولي وقد أزيحت البشرة في أحد الأركان لاظهار حرف الأدمة

الحقيقة العلمية

لم يُعرف أن البحار المالحة مختلفة في التركيب وليست بحراً متجانساً واحداً إلا عام ١٨٧٣م عندما طافت رحلة تشالنجر في البحار ثلاثة أعوام . . .

وفي عام ١٩٤٢م فقط ظهرت لأول مرة نتيجة أبحاث طويلة جاءت نتيجة لإقامة مئات المحطات البحرية في البحار فوجدوا أن المحيط الأطلنطي مثلاً لا يتكون من بحر واحد بل من بحار مختلفة وهو محيط واحد فتختلف كتله المائية في درجات الحرارة والكثافة والملوحة والأحياء المائية وقابلية ذوبان الأكسجين. هذا في المحيط الواحد، فضلاً عن بحرين مختلفين كالبحر الأبيض والبحر الأحمر، والبحر الأبيض والمحيط الأطلنطي، والبحر الأحمر وخليج عدن يلتقيان أيضاً في مضايق معينة. ففي ١٩٤٢م عرف لأول مرة أن هناك بحاراً تلتقي فيها المياه لكن بعضها يختلف عن بعض في الخصائص والصفات، ومياه البحار ليست ساكنة وإنما في حركة دائبة تجعل كتل المياه تتداخل فيما بينها لكنها تظل محافظة على صفات كل منها في درجة الملوحة ودرجة الحرارة والكثافة .

والمد والجزر والتيارات المائية والأمواج والأعاصير كلها عوامل تجعل مياه البحار في حركة دائمة ومع ذلك . .

لا تمتزج الكتل البحرية المتباينة الخصائص وكأن هناك حاجزاً يفصل بين كل بحرين متجاورين في محيط أو في مضيق .

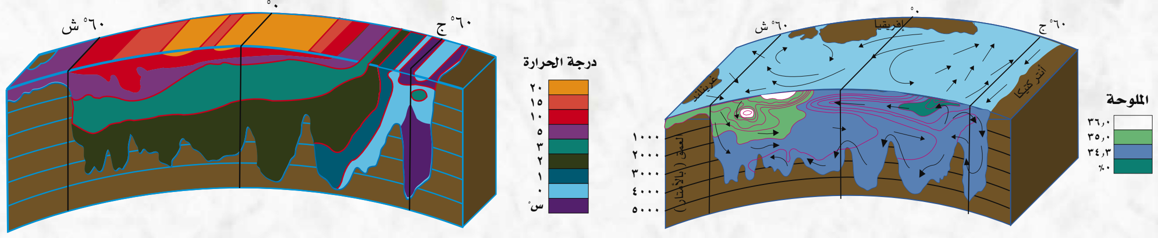

رسم توضيحي رأسي لمياه المحيط يظهر من خلالها تنوع الكتل المائية في الخصائص الفيزيائية حتى على المستوى الرأسي

وجه الإعجاز

تتحدث الآيات الكريمات عن بحرين مالحين متجاورين متداخلين ويحتفظ كل منهما بخصائصه، وكأن بينهما حاجزاً يمنعهما من الاختلاط.

وذكر اللؤلؤ والمرجان في الآيات دليل على أنهما بحرين مالحين، لأنهما لا يُستخرجان إلا من البحار المالحة، مما يعني تعلق الحديث بمياه المحيطات والبحار المالحة التي تبدو واحدة بنفس الخصائص لكنها في الحقيقة كتل متجاورة ذات خصائص متمايزة .

تبدو المحيطات والبحار المالحة المتجاورة بالعين المجردة كأنها كتلة مائية واحدة متحدة الصفات، لكنها في الحقيقة جملة كتل مختلفة الصفات في الملوحة والحرارة والكثافة، ولم يدرَك ذلك إلا باستخدام التقنيات الحديثة ومع ذلك ذكر القرآن الكريم تلك الأوصاف، فدل على تمايز كل بحرين مالحين متجاورين لأنهما يتداخلان فيما بينهما دوماً ولا يمتزجان وكأن بينهما حاجزاً يمنع اختلاط مياههما. . .

أليس هذا دليلاً واضحاً على أن القرآن كلام الله !.

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة يونس: ٣٧)

رسم توضيحي لحركة الكتل المائية في المحيطات وهي مختلفة في خصائصها العامة من حيث الحرارة والذائبية وغيرها وكأنها منفصلة عن بعضها البعض

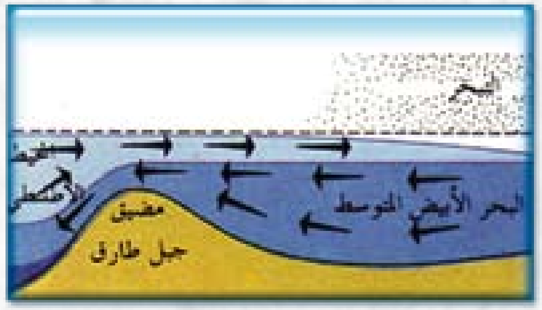

منطقة مضيق جبل طارق يظهر فيها كيفية تداخل المياه الباردة الأقل كثافة وملوحة من مياه البحر الأبيض المتوسط

الحقيقة العلمية

طاقة الشمس (المفاعل النووي الكوني): تنتج نتيجة لاحتراق الهيدروجين وهو المكون الأساسي لها وتحوله إلى هليوم في باطنها ،،،

حيث الكثافة والضغط العالي والحرارة التى تصل إلى ١٥ مليون درجة، حيث يؤدى هذا إلى حدوث تفاعل نووي واندماج أربع ذرات هيدروجين لإعطاء ذرة هليوم واحدة ويكون فرق الكتلة ما بين المواد الداخلة فى التفاعل والناتجة من التفاعل يشع على هيئه طاقة كهرومغناطيسية تشع من سطح الشمس أشعة قصيرة الموجة تصاحبها أشعة مرئية وأشعة تحت الحمراء وأشعة فوق بنفسجية وهذا يعنى أن الشمس تستمد طاقتها من باطنها عبر اندماج نووي طبيعي تحت ظروف عاليه الضغط والكثافة والحرارة وكأنها مفاعل نووي عملاق مسخر ليمد الأرض بالنور والدفء والطاقة. وتعتبر الشمس نجماً، وهي جسم سماوي متلألئ يشع الطاقة ذاتياً بينما القمر كوكب وهو جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من النجوم والشموس وينطبق هذا على التوابع الطبيعية للكواكب (الأقمار).

القمر نوراً
جسم معتم يعكس الضوء

وجه الإعجاز

أشارت نصوص القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام إلى التفريق بين النجم والكوكب ممثلاً في الشمس والقمر، ،

وهو ما توصل إليه علماء الفلك الحديث بعد اكتشاف المناظير وإجراء الدراسات الفوتومتريه (الضوئية) والطيفية على النجوم والكواكب خلال القرون القليلة الماضية. فالنجم ما هو إلا جسم سماوي متلألئ يشع الطاقة ذاتياً بينما الكوكب جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من النجوم والشموس وينطبق هذا على التوابع الطبيعية للكواكب (الأقمار) .

فالشمس تعد مفاعلاً نووياً عملاقاً يسبح في الفضاء بسرعة كبيرة وله ضوء وطاقة وحرارة ذات أشكال شتى ومتغيرة في كمها وكيفها. وهي ليست قرصاً مضيئاً ثابت الضياء، بل هو سراج وهّاج ﴿وجعلنا سراجاً وهّاجاً ﴾ (عم : ١٣) .

وأن القمر كوكب يعكس ضوء الشمس فيضيء ليل الأرض نوراً، وهو ما سبق القرآن الكريم في تقريره في هاتين الآيتين الكريمتين . فمن أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بهذه الحقائق ؟ إنه الله جلَّ في علاه ..

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾
(إبراهيم : ٥٢)

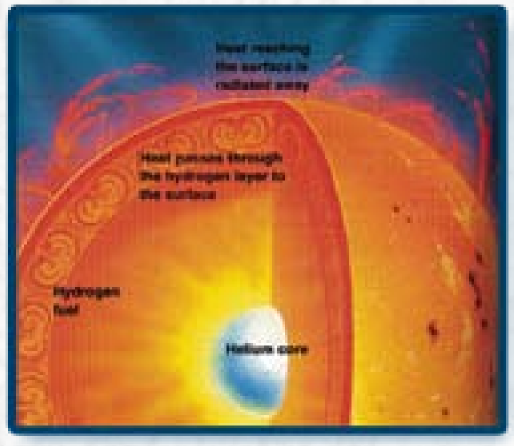

رسم توضيحي للب الشمس الداخلي

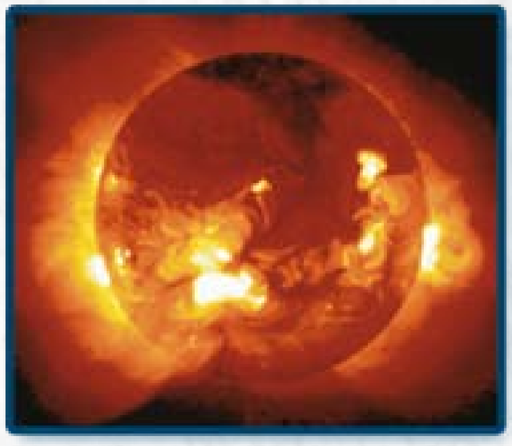

الشمس سراجاً وهاجاً
جسم يشع طاقة ذاتياً

الحقيقة العلمية

كشف لنا علم الأرصاد الحديث

عن بعض أسرار وحقائق الغلاف الجوي (سماء الأرض)

وما يقدمه من منافع وحماية للأرض ونذكر منها :

- يقوم الغلاف الجوي بإرجاع الماء المتبخر بهيئة أمطار.
- يُرجع الغلاف الجوي للأرض كثيراً من النيازك ويردها للفضاء الخارجي.
- يردُّ الغلاف الجوي الإشعاعات القاتلة للأحياء ويدفعها بعيداً عن الأرض.
- يعكس الغلاف الجوي موجات الراديو القصيرة والمتوسطة إلى الأرض، ولذا يمكن اعتبار الجو أشبه بمرآة عاكسة للأشعة والموجات الكهرومغناطيسية، فهو يعكس أو يُرجع ما يُبَث إليه من الأمواج اللاسلكية والتلفزيونية التي ترتد إذا أرسلت إليها بعد انعكاسها على الطبقات العليا الأيونية (الأيونوسفير) وهذا هو أساس عمل أجهزة البث الإذاعي والتلفزيوني عبر أرجاء الكرة الأرضية.
- الغلاف الجوي أشبه بمرآة عاكسة للحرارة فيعمل كدرع واقية من حرارة الشمس أثناء النهار كما يعمل كغطاء بالليل يمسك بحرارة الأرض من التشتت، ولو اختل هذا التوازن لاستحالت الحياة على الأرض إما من شدة الحرارة نهاراً أو شدة البرودة ليلاً.

وجه الإعجاز

تشير الآية القرآنية الكريمة (والسماء ذات الرجع) إلى أن أهم صفة للسماء المحيطة بالأرض هي أنها ذات رجع ، ، ،

وقد فهم القدامى أنها تشير إلى المطر فحسب، وجاء العلم الحديث ليعمق معنى الإرجاع في وصف الجو ليشمل مظاهر عديدة لم يكن يعلمها بشر من قبل، وكلمة الرجع تأتي بمعنى الإرجاع أو الإعادة إلى ما كان منه البدء، فمعناها رد الشيء وإرجاعه في اتجاه مصدره مثل صدى الصوت، والسماء هنا تعني جو الأرض، والتعبير يفيد وجود غلاف يحيط بها يرد إليها كل نافع ويرد عنها كل ضار فتبين أن لفظة الرجع لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر وأنه بغير تلك الصفة للجو ما استقامت على الأرض حياة، وبهذا أجمل القرآن الكريم بلفظة واحدة كل ما كشفه العلم الحديث من خصائص الجو .

فتبارك الله القائل :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل: ٩٣)

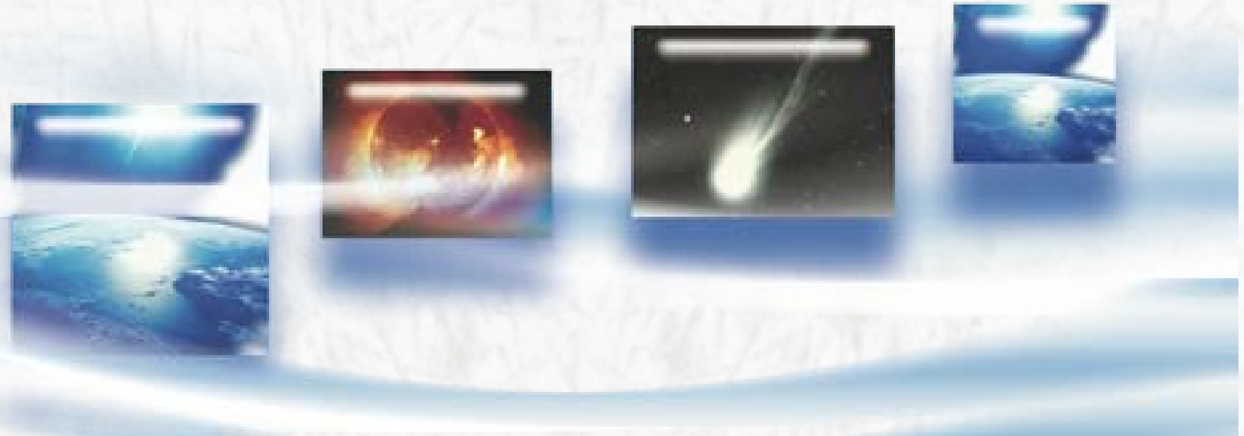

ثبت في الصحيحين من حديث أم سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهما، والسام : الموت

الحقيقة العلمية

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من داء إلا في الحبة السوداء منه شفاء إلا السام)

(والسام : الموت)

استعملت الحبة السوداء في كثير من دول الشرق الأوسط والأقصى علاجاً طبيعياً منذ أكثر من ألفي عام .

وتم استخلاص مركب النيجيللون من زيت الحبة السوداء عام ١٩٥٩م على يد الدخاخني وزملاؤه . وتحتوي بذور الحبة السوداء على ٤٠٪ من وزنها زيتاً ثابتاً، و١,٤٪ زيوتا طيارة، كما تحتوي على خمسة عشر حمضاً أمينياً، وبروتين وكالسيوم وحديد وصوديوم وبوتاسيوم، وأهم مركباتها الفعالة هي: الثيموكينون، والدايثيموكينون، والثيموهيدروكينون، والثيمول .

لم يتضح دور الحبة السوداء في المناعة الطبيعية حتى عام ١٩٨٦م إلا بالأبحاث التي أجراها الدكتور القاضي وزملاؤه في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم توالت بعد ذلك الأبحاث في شتى الأقطار وفي مجالات عديدة حول هذا النبات، وقد أثبت القاضي أن للحبة السوداء أثراً مقوياً لوظائف المناعة: حيث ازدادت نسبة الخلايا اللمفاوية التائية المساعدة إلى الخلايا التائبة الكابحة إلى ٧٢ ٪ في المتوسط . وحدث تحسن في نشاط خلايا القاتل الطبيعي بنسبة ٧٤٪ في المتوسط. وقد جاءت نتائج بعض الدراسات الحديثة مؤكدة لنتائج أبحاث القاضي منها :

ما نشرته مجلة المناعة الدوائية في عدد أغسطس ١٩٩٥م عن تأثير الحبة السوداء على الخلايا اللمفاوية الإنسانية في الخارج على عدة مطفرات، وعلى نشاط البلعمة لخلايا الدم البيضاء متعددة النواة، وما نشرته مجلة المناعة الدوائية في عدد سبتمبر ٢٠٠٠م (١٠) بحثاً عن التأثير الوقائي لزيت الحبة السوداء ضد الإصابة بالفيروس المضخم للخلايا cytomegalovirus في الفئران، حيث اختبر زيت الحبة السوداء كمضاد للفيروسات، وقيست المناعة المكتسبة أثناء الفترة المبكرة من الإصابة بالفيروس وذلك بتحديد خلايا القاتل الطبيعي والخلايا البلعمية الكبيرة وعملية البلعمة. وغير ذلك من أبحاث في هذا المجال.

وجه الإعجاز

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء، ووردت كلمة شفاء في صيغ الأحاديث كلها غير معرفة بالألف واللام، وجاءت في سياق الإثبات فهي لذلك نكرة لا تعم في الغالب، وبالتالي يمكن أن نقول أن في الحبة السوداء نسبة من الشفاء في كل داء. وقد ثبت أن جهاز المناعة هو النظام الوحيد والفريد الذي يمتلك السلاح المتخصص للقضاء على كل داء، بما يحويه من نظام المناعة النوعية أو المكتسبة التي تمتلك إنشاء الأجسام المضادة المتخصصة لكل كائن مسبب للمرض، وتكوين سلاح الخلايا القاتلة المتخصصة.

هذا وقد ثبت من خلال الأبحاث التطبيقية أن الحبة السوداء تنشط المناعة النوعية؛ فقد رفعت نسبة الخلايا المساعدة والخلايا الكابحة وخلايا القاتل الطبيعي- وكلها خلايا ليمفاوية في غاية التخصص والدقة - لما يقرب من ٧٥٪ في بحث القاضي، وأكدت الأبحاث المنشورة في الدوريات العلمية هذه الحقيقة؛ حيث تحسنت الخلايا الليمفاوية المساعدة وخلايا البلعمة، وازداد مركب الإنترفيرون، والإنترلوكين ١و٢ وتحسنت المناعة الخلوية، وانعكس ذلك التحسن في جهاز المناعة على التأثير المدمر لمستخلص الحبة السوداء على الخلايا السرطانية وبعض الفيروسات، وتحسن آثار الإصابة بديدان البلهارسيا. وعليه يمكن أن نقرر أن في الحبة السوداء شفاء من كل داء؛ لأنها تصلح وتقوي جهاز المناعة وهو الجهاز الذي فيه شفاء من كل داء، ويتعامل مع كل مسببات الأمراض، ويملك تقديم الشفاء الكامل أو بعضه لكل الأمراض .

وهكذا تجلت الحقيقة العلمية في هذه الأحاديث الشريفة والتي ما كان لأحد من البشر أن يدركها فضلاً عن أن يقولها ويحدث الناس بها منذ أربعة عشر قرناً إلا نبي مرسل من الله

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾

(النجم : ٣ ، ٤)

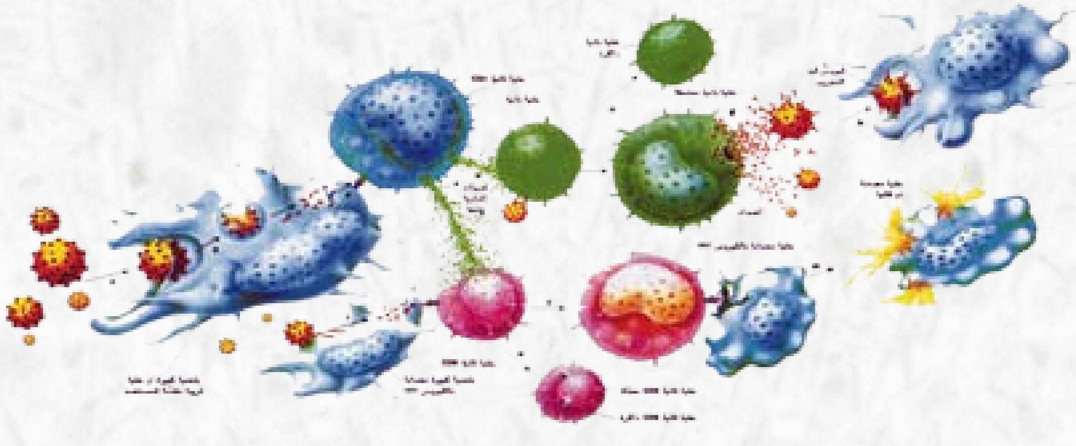

الخلايا البلعمية وهي تلتهم الميكروبات وتنشط خلايا جهاز المناعة النوعية لتدمير الميكروبات والتخلص منها

الحقيقة العلمية

تذكر المراجع التاريخية وقوع معركة بين مملكتي فارس وبين الإمبراطورية البيزنطية - وهي الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية - في منطقة بين أذرعات وبصرى قرب البحر الميت حيث انتصر فيها الفرس انتصاراً ساحقاً على الرومان، وكان ذلك سنة ٦١٩م. وقد خسر الروم البيزنطيون في هذه المعركة خسائر فادحة، وتوقع جميع المعاصرين لهم دماراً كاملاً لإمبراطوريتهم.

لكن حدث ما لم يكن متوقعاً ففي شهر ديسمبر من عام ٦٢٧م وقعت معركة حاسمة بين البيزنطيين وإمبراطورية الفرس بمنطقة ناي نيفا Nineveh. هزم فيها الروم الفرس. وبعد أشهر قليلة لجأ الفرس إلى إبرام اتفاقية مع بيزنطة تجبرهم على إعادة المناطق التي أخذوها منهم.

توضح المصورات الجغرافية لمستوى المنخفضات الأرضية في العالم أن أخفض منطقة على سطح الأرض هي تلك المنطقة التي بقرب البحر الميت في فلسطين حيث تنخفض عن سطح البحر بعمق (٣٩٥) متراً. وقد أكدت ذلك صور وقياسات الأقمار الاصطناعية.

صورة للبحر الميت الذي يقع جنوب بحيرة طبرية في غور الأردن وهي أخفض منطقة في العالم

وجه الإعجاز

هناك وجهان للإعجاز في هذه الآيات الكريمة . . .

الوجه الأول : إخبار القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم الساحقة، بعد بضع سنوات. والبضع هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة العربية. وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٧م وانتصر فيها الروم وتزامن ذلك مع انتصار المسلمين على مشركي قريش في غزوة بدر الكبرى. وهذا النصر بدا مستحيلاً في أعين العرب المشركين إلى درجة دفعت بهم إلى السخرية من هذه الآيات القرآنية وغامروا بدفع رهان للمسلمين إن تحقق ذلك النصر المزعوم. وخاب ظنهم وتحققت معجزة القرآن الكريم عندما أخبر الناس مسبقاً بانتصار الرومانيين.

الوجه الثاني : أنها قررت حقيقة جغرافية لم تكن معروفة عند أحد في ذلك الوقت، حيث أخبرت أن الروم خسروا المعركة مع الفرس في أدنى منطقة من الأرض. وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر ب ١٣١٢ قدم (حوالي ٤٠٠ متر) وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة، كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية. والحقيقة التاريخية تشهد أن المعركة وقعت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً في حوض البحر الميت والتي لم تكن لتقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة، لذلك كان من المستحيل أن يعرف أي شخص في ذلك الوقت أن هذه المنطقة هي أكثر المناطق انخفاضاً في العالم، أليس هذا دليلاً على أن القرآن هو وحي من عند الله. قال تعالى :

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (الفرقان : ٦)

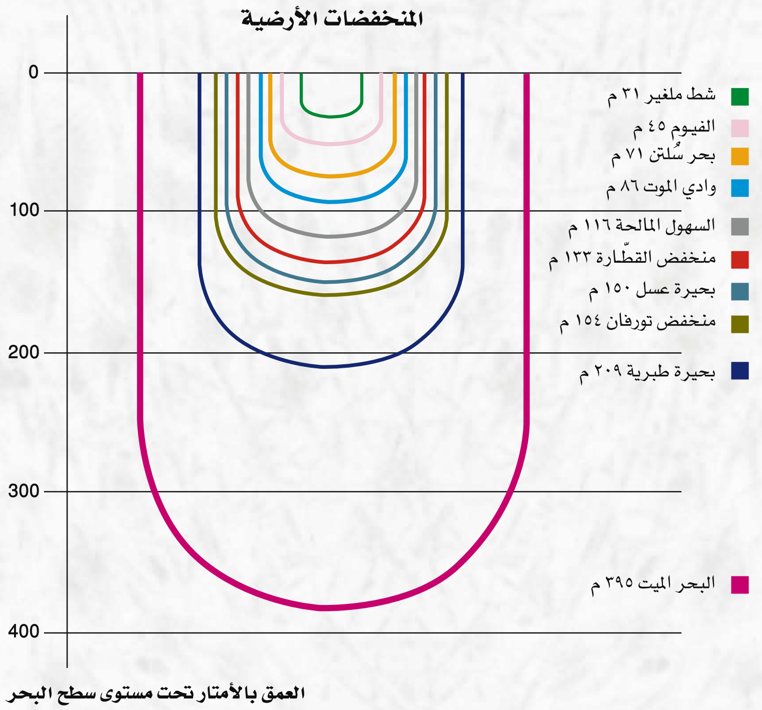

الحقيقة العلمية

لم يعرف عن الجبال سابقاً إلا أنها كتل صخرية عالية الارتفاع عن سطح الأرض ، ، ،

واستمر هذا التعريف إلى أن أشار "بيير بوجر" عام ١٨٣٥م إلى أن قوى الجذب المسجلة لسلاسل جبال الإنديز أقل بكثير مما هو متوقع من كتلة صخرية هائلة بهذا الحجم، فاقترح ضرورة وجود كتلة أكبر غائصة من نفس مادة تلك الجبال حتى يكتمل تفسير الشذوذ في مقدار الجاذبية. وفي أواسط القرن التاسع عشر أشار "جورج إيفرست" إلى وجود شذوذ في نتائج قياس جاذبية جبال الهيمالايا بين موقعين مختلفين، ولم يستطع "إيفرست" تفسير تلك الظاهرة فسمّاها "لغز الهند"، وأعلن جورج إيري سنة ١٨٦٥ أن جميع سلاسل الجبال في الكرة الأرضية عبارة عن كتل عائمة على بحر من المواد المنصهرة أسفل القشرة الأرضية، وأن هذه المواد المنصهرة أكثر كثافة من مادة الجبال ولذا لا بد أن تغوص الجبال في تلك المواد المنصهرة العالية الكثافة كي تحافظ على انتصابها.

وهكذا اكتشف علم الجيولوجيا شيئاً فشيئاً أن القشرة الأرضية عبارة عن قطع متجاورات سميت بالألواح أو الصفائح القارية، وأن الجبال الضخمة تطفو على بحر من الصخور المرنة الأكثر كثافة تقع دونها، وأن للجبال جذوراً تساعدها على الطفو وتثبيت تلك الألواح حتى لا تميد وتضطرب. يقول الجيولوجي فان أنجلين Van Anglin في كتابه "Geomorphology" الصادر في عام ١٩٤٨ (ص:٢٧) : "من المفهوم الآن أنه من الضروري وجود جذر في السيما مقابل كل جبل فوق سطح الأرض". وأما من حيث الوظيفة أو دور الجبال في تثبيت القشرة الأرضية فقد أكده مبدأ "التوازن الهيدروستاتي للأرض" كما ذكره الجيولوجي الأمريكي داتون Dutton سنة ١٨٨٩ حيث يقرر أن المرتفعات الجبلية تغوص في الأرض بمقدار يتناسب طرداً مع ارتفاعها وعلوّها، وحقيقة "الألواح الأرضية" التي تأيدت عام ١٩٦٩ تبيّن أن الجبال تقوم بحفظ توازن كل لوح من ألواح القشرة الأرضية.

وجه الإعجاز

في الوقت الذي كان فيه الإنسان يجهل حقيقة الجبال، والذي ظل كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر، جزم القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة بأن الجبال تشبه الأوتاد شكلاً ووظيفة.

وتبين حديثاً صدق هذ التشبيه الدقيق ؛ فبما أن للوتد جزء ظاهر فوق سطح الأرض وجزء منغرس في باطن قشرة الأرض ووظيفته تثبيت ما يتعلق به، فكذلك الجبال لها جزء ظاهر فوق قشرة الأرض وجزء منغرس في باطنها يتناسب طرداً مع ارتفاعها وعلوّها، ووظيفة الجبال هو تثبيت ألواح قشرة الأرض ومنعها من أن تميد وتضطرب بفعل الطبقة المنصهرة تحتها. وبهذا يتضح أن هذا الكتاب هو كلام الله تعالى خالق الجبال والأكوان مصداقاً لقوله عز وجل :

﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النحل : ١٥)

فمن أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم عن شكل الجبال ووظيفتها وهي الحقيقة التي لم يعرفها الإنسان إلا بعد عام ١٩٦٠ م .

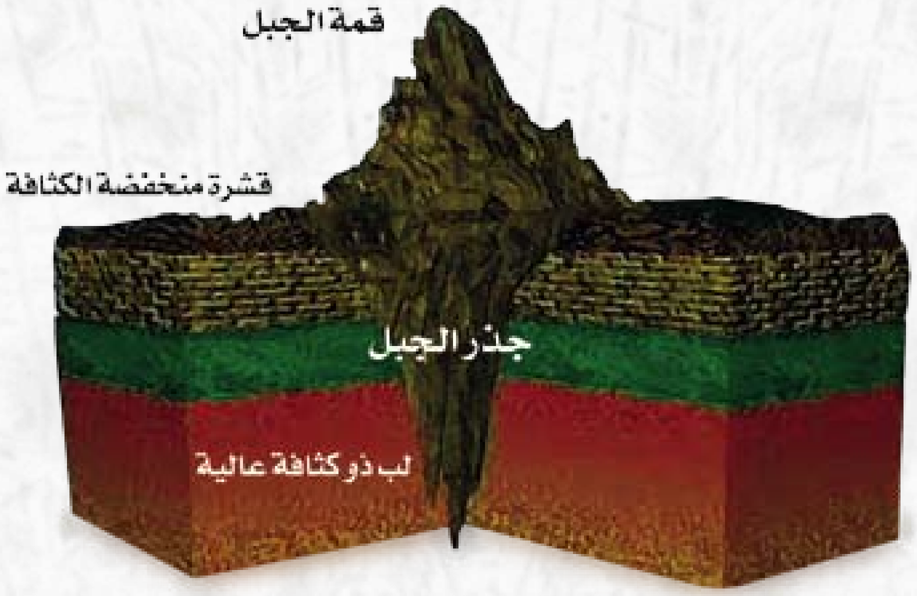

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إنه خُلق كلُّ إنسانٍ من بنى آدمَ على ستّينَ وثلاثمائة مفصلٍ "

• • • الحديث (رواه مسلم) الزكاة ١٦٧٥

الحقيقة العلمية

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن فروخ، أنه سمع عائشة تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل. فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس، أو شوكة أو عظماً من طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار".

عن عبدالله بن بُريدة قال سمعت أبي بُريدة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (في الإنسان ستون و ثلاثمائة مفصلٍ فعليه أن يتصدق عن كلِّ مفصلٍ منها صدقةً). قالوا فمن يطيق ذلك يا رسول الله قال : (النخامة في المسجد تدفنها أو الشيءُ تنحّيه عن الطريق فإن لم تقدر فركعتان الضُّحى تُجزىءُ عنك) (مسند الإمام أحمد / ٢٣٧٠٠)

المفصل هو الالتقاء بين أي عظمتين أو عظمة وغضروف أو غضروفين في أي موضع بجسم الإنسان ما دام بينهما فاصل .

العدد الكلي للمفاصل حسب القواعد الموضوعة			
مفاصل الجمجمة	٨٦	مفاصل الحنجرة	٦
مفاصل القفص الصدري	٦٦	مفاصل العمود الفقري والحوض	٧٦
مفاصل الأطراف العلوية	٣٢×٢ = ٦٤	مفاصل الأطراف السفلية	٣١×٢ = ٦٢
المجموع ٣٦٠ مفصلاً			

وجه الإعجاز

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن عدد المفاصل الموجودة في الجسم البشري ثلاثمائة وستون مفصلاً في زمن يستحيل فيه معرفة هذا العدد بهذه الدقة حيث أن معظم هذه المفاصل دقيقة وفي أماكن يصعب تحديدها بالملاحظة المجردة، ولم تحدد بدقة إلا بعد تقدم علم التشريح وعلم الأنسجة .

والمفصل هو : ملتقى العظمين في البدن. كما يقول علماء اللغة ويعبر عنه أيضاً بالسلامى وجمعه سلاميات، وهكذا حدد النبي صلى الله عليه وسلم عدد المفاصل منذ أربعة عشر قرناً وتطبق مع الواقع التشريحي لجسم الإنسان، وهكذا تتضح آية جديدة من آيات الوحي ما كان لبشر أن يحيط بها في زمن النبوة .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (تبارك : ١٤)

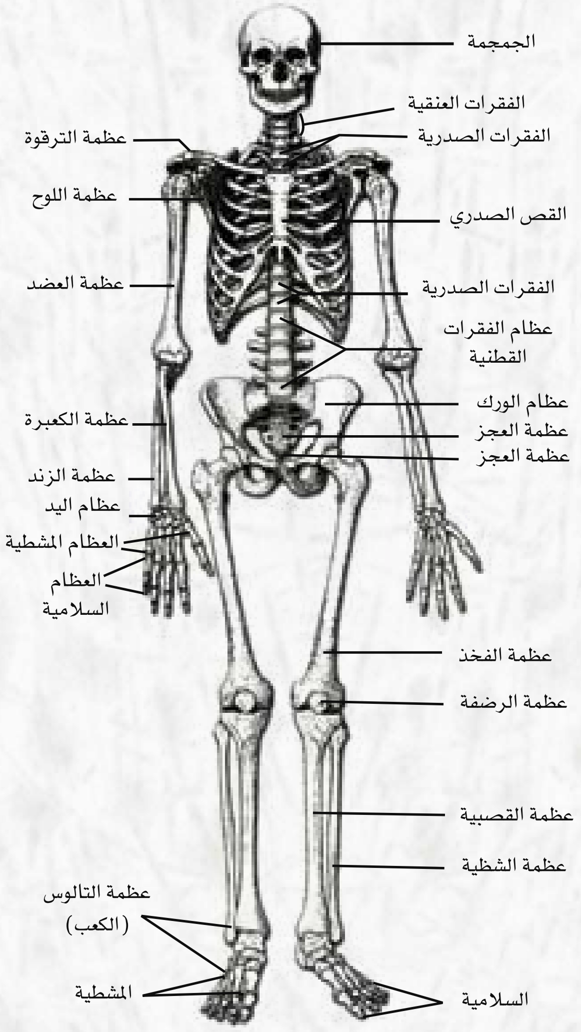

مظهر أمامي لعظام كائن بشري يوضح أجزاء الهيكل العظمي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا)

رواه ابن ماجه

الحقيقة العلمية

كشف العلم الحديث على يد علماء الكائنات الدقيقة خلال القرنين الماضيين أن هناك مجموعة من البكتريا والفطريات والفيروسات لا تنتقل للإنسان إلا عن طريق ممارسة الجنس بطرق شاذة . . .

كالعلاقات العديدة غير المحددة بين الرجال والنساء، والعلاقات الشاذة بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء، وأنه إذا اتسعت دائرة هذه العلاقات فإن المجتمع مهدد بأمراض وبائية غير مسبوقة، لأن هذه الجراثيم تغير خواصها باستمرار مما يجعلها مستعصية العلاج، كما أن الجسم لا يستطيع مقاومتها لانعدام المناعة ضدها، ومن الممكن أن تظهر بصور وصفات جديدة في المستقبل . و منذ سنوات قليلة مضت سميت هذه الأمراض بالأمراض التي تنتقل بواسطة الفواحش وتسمى اختصاراً (S.T.D)

أحد أعراض مرض الإيدز على الوجه وتورم العقد اللمفاوية

أحد أعراض مرض الزهري تشوه عظام الضلوع وتخمج الركبة

وجه الإعجاز

يكشف لنا الحديث النبوي عن سنّة إجتماعية عامة يمكن أن تقع في أي مجتمع تتكون من مقدمة ونتائج . . .

فالمقدمة شيوع العلاقات المحرمة كالزنا والعلاقات الشاذة وعدم تجريمها والرضا بها، ثم الترويج لها. وهو ما اصطلح عليه بالإباحية الجنسية .

والنتائج المترتبة على هذه الإباحية شيوع الأمراض الجنسية وإنتشارها بصورة وبائية مدمرة وظهورها بصور جديدة في الأجيال التالية .

هذا وقد تحققت هذه السنّة الجارية في كثير من المجتمعات، فقد انتشرت فيهم العلاقات المحرمة والشاذة وارتضوها كسلوك اجتماعي بل وروّجوا لها بكل طرق الإعلانات . . . فهل تحققت النتائج .. ؟

نعم لقد ظهرت فيهم الأمراض الجنسية في صورة وبائية سببت لهم من الآلام والأوجاع الشيء الكثير، فقد شهد العالم موجات كاسحة من انتشار وباء الزهري حطم حياة الملايين، كما يتصدر مرض السيلان قائمة الأمراض المعدية، فهو أكثر الأمراض الجنسية شيوعاً في العالم . ثم ظهر مؤخراً مرض الإيدز المرعب القاتل والذي يدمر فيروسه جهاز المناعة في الإنسان فتتدمر أعضاؤه واحداً بعد الآخر في سلسلة من الآلام والأوجاع التي لم يعرفها البشر من قبل وهكذا تحقق ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم .

أليس هذا دليلاً إضافياً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله حقاً ؟

خريطة تبين سرعة انتشار (فشا) مرض الإيدز في العالم

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ
أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣)